رحلتنا الهندية العربية

﴿ شكر علني لأهل عمان والكويت ﴾

شكرنا في الجزءين الأول والثاني لاخواننا مسلمي الهند حفاوتهم بنا وحسن ضيافتهم، ووعدنا بأن نشكر مثل هذه الحفاوة لاخواننا العرب الكرام في مسقط والكويت والعراق، وقضت كثرة المواد التي لا يمكن تأخيرها ان نرجئ الوفاء بهذا الوعد الى هذا الجزء

سافرت من بمبي صباح الجمعة لتسع خلون من جمادى الاولى للعام الماضي في سفينة انكليزية قاصدا مسقطا عن طريق كراجي، وكنت حريصا على السفر في احدى بواخر الشركة العربية التي يديرها في بمبي مؤسسوها من اصدقائنا تجار العرب، وكان ذلك يسرهم أيضا ، وقد تحدثنا به مع مدير الشركة الهمام الشيخ محمد المشاوي في قصر الزعيم الكبير صديقي ومضيفي الشيخ قاسم ابراهيم فعلمنا ان انتظار مواعيدها يضيع علي اياما كثيرة. وقد انتقلنا في ميناء كراجي الى سفينة انكليزية أخرى حملتنا الى مسقط فوصلنا اليها ضحوة يوم الاثنين (١٢ ج ٢٩ ابريل) وعند مارست كان قد وصل اليها زورق بخاوي من السلطان الكريم السيد فيصل ملك عمان يحمل بعض رجاله لاستقبالي وكان كلف من يعتمد عليه في بمبي ان يخبره عن سفري منها ببرقية يعرف بها موعد وصولي، فصعدوا ومعهم صديقي الفاضل السيد يوسف الزواوي أكبر سادات مسقط بعد اسرة السلطان وأكبر تجارها قدرا وجاها وشهرة، فعرف الجماعة بي وبعد السلام نزلنا الى الزورق فحملنا الى رصيف قصر السلطان فصعدنا القصر وبعد السلام والمكث مع السلطان ساعة من الزمان ذهبنا الى دار ضيافته التي أعدها لنا . وكان صديقنا السيد الزواوي أعد دارا جديدة له على الطراز الحديث لأكون فيها مدة وجودي في مسقط فتفنن عليه السلطان ولم يسمح له بذلك

أقمت في مسقط أسبوعا كان يختلف الي كل يوم وكل ليلة منه وجهاء البلد وأذكياؤه ويلقون علي الاسئلة الدينية والفلسفية والأدبية والاجتماعية، وزارني السلطان في دار الضيافة أيضا ومكث معي عدة ساعات، وزرته في مجلس حكمه عدة مرات وكان يأتي علي في كل مرة الاسئلة المختلفة ، وكان يكون معه في مجلسه اخوه السيد محمد وهو كثير المطالعة في الكتب ولكنه لا يحب البحث في المجالس في كل ما يطلع عليه من المسائل . وقد عهد السلطان الى كاتبه الخاص من أهل السنة الزبير بن علي أن يتولى

أمر العناية بضيافتي والى كاتبه الآخر الشيخ ابراهيم بأن يتعاهدني معه أيضا

وأدب لي صديقي السيد الزواوي مأدبتين حافلتين احداهما في داره العامرة في نفس مسقط دعا اليها علماء ووجهاء البلد والاخرى في دار له بقرية (سداب) وهي على مسافة ميل من مسقط ذهبنا اليها بزورق السلطان في البحر وعدت انا ماشيا مع بعض المدعوين برا لأجل الرياضة ورؤية ثنية الجبل التي يسلك منها الى مسقط المطوقة بالجبل . وقد دعا الى هذه المأدبة مع وجهاء مسقط وجهاء القرى المجاورة لها فاجاب الدعوة عشرات منهم وكان الغرض من ذلك ان يسمعوا كلامي وتذكيري بآيات الله ، وقد فاض معين السخاء العربي الهاشمي في هذه المأدبة على فقراء القرية الذين اعتادوا ان يعشوا الى ضوء نار السيد الزواوي الذي هو مظهر لقول الشاعر *

«ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا» فتراه بين مظاهر الكرم والنعيم ، لايغفل عن مراعاة ما يمكن تحصيله من فوائد العلم والدين ، بنى لنفسه عدة دور فخمة جميلة في مدخل البلد على البحر وهو موقع غير واسع يشارك هو فيه السلطان وقنصل الانكليز في ذلك ، ويسكن في دار له فيه قنصل أمريكة . وبنى لله مسجداً هو أنظف مساجد البلد وأزهاها ، وقد جر اليه الماء بأنابيب الرصاص (المواسير) وجعل له عدة حنفيات ، وعلى هذه الطريقة اقترح على يوم المأدبة الاولى وكانت الغداء في يوم الجمعة ان اعظ الناس في مسجده بعد صلاة الجمعة فأجبت ، وكان من تأثير الكلام فيهم أن ارتفعت اصواتهم بالبكاء والنحيب والنشيج ، واقترح علي ايضا ان اتكلم واذكر من يحضر المأدبة الثانية من الوجهاء والخواص فأجبت . ونجله الكبير الشيخ عبد القادر له ذوق في النظام وميل الى الصناعة وقد مد من دراهم في سداب الى دراهم في مسقط مسرّة (تليفون) فكانت هي الوحيدة في تلك القرية

وسافرت من مسقط ضحوة يوم الاثنين لتسع عشرة خلون من الشهر ومكثت في مجلس السلطان زهاء ثلاث ساعات من أول نهار السفر كان يلقي فيها علي الاسئلة الكثيرة في العقائد وما يتعلق بها والاحكام الشرعية والاجتماعية والتاريخية وتارة يشير الى رجله بأن يسألوا وكانوا جميعا يسرون من الاجوبة ، ثم نزلنا الى البحر فودعني السلطان على رصيف قصره ونزل معي في زورقه البخاري جميع من كان ثم من أنجاله الكرام وهم خمسة اكبرهم السيد نادر ، ومعهم بعض كتابه وحاشيته (ومن سوء حظي ان كان ولي عهده السيد تيمور مسافرا فلم أره) وظل هو واقفا على الرصيف حتى بعد الزورق عنه ، فودعته الوداع الاخير بالاشارة . ونزل منا

ايضا صديقنا السيد الزواوي ونجله والسيد علي ابن عم السلطان وصهره وقد سافر معنا قاصدا البصرة فرأيت منه رفيقا تقيا نقيا صفيا . وقد مكث معنا أولاد السلطان والزواوي ساعة من الزمن في الباخرة ثم ودعناهم الوداع الاخير وعادوا الى مسقط موشحين بجلابيب شكوى الخالص وودي الدائم ان شاء الله تعالى (وسنصف مسقط ونتكلم عن حالة اهلها الاجتماعية في الرحلة)

جرت السفينة بنا من مسقط ظهر يوم الاثنين وهي انكليزية تقطع في الساعة ١٢ ميلا فقط ، وفي ضحوة اليوم الثاني خرجت بنا عن محاذاة جبال عمان ودخلت في الخليج الفارسي فصرنا نرى بر فارس عن اليمين وبر العرب عن اليسار . ووقفت بنا فجر يوم الخميس في موضع من عرض البحر كان ينتظرنا فيه مركب شراعي كبير أرسله الينا الشيخ مبارك الصباح صاحب الكويت وكان علم بأننا نصل اليه في هذا الوقت في هذه الباخرة مما كتب اليه من بمبي ومسقط ، فنزلنا فيه قبل طلوع الشمس فاقلع بنا والريح لينة والبحر رهو ، ثم قويت الريح قليلا في النهار فبلغ بنا الكويت قبل غروب الشمس . وكان رجال الشيخ مبارك حملوا فيه خروفين كبيرين وكثيرا من الحلوى والشمش والخيار فأفطرنا وتغدينا فيه (وقد أعجبني جداً طبخ الطاهي الذي كان معهم للخروف بالرز الهندي وهو طاه متفنن وطبخ للعشاء ألوانا متعددة لئلا نتأخر الى الليل فبقيت للبحارة) وقد استقبلنا أولاد الشيخ مبارك وبعض الوجهاء في زورق صغير خارج الميناء

أنزلني الشيخ مبارك في قصره الجديد الذي هو قصر الامارة وتولى مؤانسي وجالسني في عامة الاوقات نجله الشيخ ناصر رئيس لجنة مدرسة الكويت لانه هو الذي يشغل عامة أوقاته في مدارسة العلم ومراجعة الكتب حتى صار له مشاركة جيدة في جميع العلوم الاسلامية ، وأقمت في الكويت أسبوعاً كنت كل يوم — ما عدا يوم البريد — ألقي فيه خطابا وعظيا في اكبر مساجد البلد فيكتظ الجامع بالناس ، وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد من أهل التقوى وحب العلم يسألون عما يشكل عليهم من أمر دينهم ، وأما الشيخ ناصر فكان يسأل عن دقائق العلوم في العقائد والاصول والفقه وغير ذلك ، على أنه لم يتلق عن الاساتذة فهو من مظاهر الذكاء العربي النادر

ومما احب أن اذكره هنا — وهو من مباحث الرحلة — مسألة علاقة الشيخ مبارك بالدولة العثمانية والانكليز . كنا نسمع المنافقين لرجال الدولة يصفون صاحب الكويت بالخيانة للدولة ويعيبونه بطلب حماية الانكليز له ، فسألته عن ذلك فقص علي قصة سألت عنها بعد ذلك السيد رجبا نقيب البصرة مندوب الحكومة اليه فيها فكان

جوابه موافقا لجواب الشيخ مبارك . ثم ذكرت ما قاله للشيخ فهد بك الهزال شيخ قبائل عنزه في العراق اذ كنت في ضيافته على نهر الفرات مع صديقي مراد بك {اخي محمود شوكت باشا} فصدق ما قاله الشيخ مبارك وزادني فوائد هو أعرف الناس بها

وملخص ما قاله الشيخ مبارك انه في اواخر مدة عبد الحميد ساقت الدولة بعض العسكر مع عربان ابن الرشيد الى قرب الكويت وأرسل المشير فيضي باشا السيد رجبا النقيب ومعه نجيب بك ابن الوالي الى الكويت فبلغاه انه قد صدرت ارادة سنية بوجوب خروجه من الكويت الى الآستانة أو الى حيث شاء من ولايات الدولة والحكومة تعين له راتبا شهريا يعيش به فان لم يخرج طائعا دخل الجند مع عرب ابن الرشيد وأخرجوه بالقوة . فسألهم ماهو ذنبه الذي استحق به النفي من بلده وعشيرته؟ وذكّر نقيب البصرة بما يعرف من إخلاصه للدولة واعانته لها بالمال عند كل حادثة وبما كان من محاربة سلفه وعشيرته لقبائل المنتفك المالكين للبصرة واخراجهم منها وجعلها في حكم الدولة كما ملكهم هو وعشيرته بقوتهم الاحساء وغيرها . وطلب منه ان يعود الى البصرة فيقنع المشير بمراجعة الآستانة . فقال له انما علينا البلاغ وليس في يدنا غيره، قال فخرجت من عندهما بقصد مشاورة أهلي وكانت حكومة الهند الانكليزية قد علمت بكل ما دبرته الدولة في ذلك وبمجيء عشيرة ابن الرشيد مع العسكر الى جهة الكويت فأرسلت مدرعتين فوقفتا تجاه البلد فلما عدت رأيت أميرالا انكليزيا قد نزل من احدى المدرعتين ومعه بعض الجند فسألني عما جرى فأخبرته الخبر فقال ان حكومتنا متفقة مع حكومة الترك على أن تبقى الكويت على حالها ، لا يتعرضون ولا نتعرض لها ، واذ قد غدروا وخالفوا فقد صار لنا حق الدخول في أمرها ، ولا يمكن ان نسمح لجندي عثماني ان يدخلها ، واذا دخلوا برضاكم دمرناها على رءوسكم ورءوسهم ، ثم بلغ الاميرال ذلك لنقيب البصرة ورسول الحكومة فقفل راجعا وبلغ المشير ذلك فأمر المشير بصرف الجنود والعربان ، {قال} فما كان من تدخل الانكليز في أمر الكويت لم يكن بطلب مني بل كان هذا سببه . وقد عرضوا علي أن اختار لنفسي راية أرفعها على البلد وأعلن الاستقلال تحت حمايتهم فأبيت ذلك وهذه الراية العثمانية تراها كل يوم مرفوعة فوق رأسي . وقد تعجبوا من قولي لهم اني اختار ان اكون داعيا عثمانيا . قيل لي اتقول هذا بعد ان رأيت منهم ما رأيت؟ قلت ان الوالد اذا قسا في تربية ولده احيانا لا يخرج بذلك عن كونه والده الذي تجب عليه طاعته !! اه وسأذكر في الرحلة ما أبدى به نقيب البصرة وشيخ عنزه هذا الكلام . فليعتبر المغترون باخلاص العرب للدولة على سوء معاملتها لهم (للكلام بقية)

﴿ أخبار مختصرة مفيدة ﴾

« الصلح العثماني البلقاني »

كان الأعاديون هم سبب اتحاد البلقانيين على قتالنا وهم سبب اقدام الدولة على قتالهم وهم المانعون لكامل باشا من عقد صلح شريف في الجملة وزعموا انهم لا يذلون لاوربة وانهم قادرون على الثأر من البلقانيين وحفظ شرف الجيش واقاذ ولاية أدرنة. وكان الامر بالضد فذهبت أدرنة وبانية وكل ما كان للدولة فيهما من السلاح والذخائر ورضيت الوزارة الشوكية الاتحادية بعد هذا الذل والخسران بصلح فوضت فيه الامر الى أوربة بلا شرط ولا قيد، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

« الشيخ قاسم ابراهيم في دار الدعوة والارشاد »

أتم صديقنا المحسن الشهير الشيخ قاسم ابراهيم في هذا الربيع بمصر فأقام فيها أسبوعا كان فيها محل التكريم من سمو أمير البلاد ووجهائها. ولما كان هو عضو الشرف الأول في جماعة الدعوة والارشاد دعاه اعضاء مجلس ادارة الجماعة الى شرب الشاي وما يتصل به في مدرسة (دار الدعوة والارشاد) واعدوا لذلك مائدة حافلة شهدها مع الكثيرين من أعضاء الجمعية بعض كبار رجال العلم الديني والدنيوي يتقدمهم الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر وشيخ مذهب الشافعية وبعض كبار علماء الازهر وعلي باشا ابو الفتوح وكيل نظارة المعارف واحمد زكي باشا كاتب سر مجلس النظار، وقد سئل الطلبة امام الحاضرين عدة اسئلة احسنوا الجواب عن أكثرها. وطاف الشيخ قاسم مع ناظر المدرسة (صاحب هذه المجلة) معاهد المدرسة فأعجبه نظامها ونظافتها وسر بهذا العمل الشريف الذي كان هو المتبرع الأول له

« اقتران صاحب المنار »

في الليلة الثامنة عشرة من هذا الشهر بنى صاحب هذه المجلة على سعاد كريمة الشيخ حسن الصفدي، وبيت الصفدي في طرابلس الشام من بيوتات العلم التي امتازت بمكارم الاخلاق وطهارة الاعراق. فاسأل الله تعالى ان يجعله بناء مباركا وقرانا ميمونا (وبنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)